بمناسبة مئوية سيد درويش؟!

د. سيد علي إسماعيل
كاتب مصري

في الخامس عشر من سبتمبر 1923 -أى منذ مائة سنة- مات الفنان العبقرى سيد درويش الذى لا تتعدى سنوات عطائه أكثر من خمس سنوات (1918-1923)!! فهل يستحق هذا الفنان، كل هذه الشهرة والضجة، التي أقيمت حوله طوال قرن من الزمان؟! الإجابة: نعم .. نعم .. نعم؛ لأن هذه السنوات الخمس، كانت في تجديد الموسيقى، وتطورها بصورة مبتكرة غير مسبوقة، وهو الأمر الذى ظهر بعد وفاته؛ لذلك خُلد اسمه، وخُلدت ألحانه، وهذا الخلود، تمثل في إحياء ذكراه كل عام!! والجديد في الموضوع، هو الحديث عن تاريخ هذه الذكرى، وما حدث فيها من حقائق وضغائن وأطماع ومتاجرة ومصادرة!!

سيد درويش

عندما مات سيد درويش عام 1923، تم تأبينه بحفلات كثيرة شارك فيها أعلام الموسيقى ورجال السياسة بصورة تليق بالفقيد. وظلت أعماله وألحانه فى مجالى الموسيقى والمسرح، تعرض على الجماهير من قبل الفرق المسرحية حتى عام 1927، دون انقطاع، مثل: فيروزشاه، قولوا له، العشرة الطيبة، شهرزاد، البروكة، كليوباترا ومارك أنطوان .. إلخ؛ وكأن سيد درويش لم يمت، وإنه حيّ يرزق بين الناس!! وفى عام 1928، تراجع اسم سيد درويش، ولم نعد نقرأه فى إعلانات المسرحيات فى الصحف، وكان هذا التجاهل إيذاناً بنسيان الرجل،

> عندما مات سيد درويش، تم تأبينه بحفلات كثيرة شارك فيها أعلام الموسيقى ورجال السياسة، وظلت أعماله وألحانه تعرض على الجماهير من قبل الفرق المسرحية

لذلك عندما حلت ذكراه في هذا العام، قرأنا ولأول مرة مقالة في مجلة المسرح، عنوانها "ذكرى سيد درويش"!! اختتمها كاتبها بقوله: "تُدين الموسيقى لسيد درويش بالكثير، فهو رمز التضحية والفداء، ورمز الذبيحة التي تُقدم نفسها قرباناً على هيكل الفن المقدس. ولو كان في بلد آخر غير مصر لأقامت له التماثيل وخلدته كما تخلد أبطالها وعظماءها". وفى عام 1929، نشرت مجلة المسرح فى ذكراه أيضاً، مقالة بعنوان "فقيد الموسيقى والتلحين الشيخ سيد درويش بمناسبة ذكرى وفاته"، كتبها فتحى محمد زكى!!

وفي ذكراه عام 1930، شعر بعض أبناء الإسكندرية بتأنيب الضمير تجاه هذا الفنان، الذي أصبح فنه يتلاشى بالنسيان، ولا يذكره أحد إلا فى منتصف سبتمبر من كل عام، بكتابة كلمة عن حياته، تذكيراً به أملاً في عدم نسيانه!! لذلك قامت جمعية هواة الفنون الجميلة بالإسكندرية، بصنع تمثال نصفى لسيد درويش، وطالبت الجمعية بجمع مقتنيات الفقيد وتحويل منزله إلى متحف!! وهذه كانت الخطوة الأولى الصحيحة، لإحياء ذكرى سيد درويش!! وفي ذكراه عام 1931، نشرت جريدة الشعب مقالة جاء فيها: "ولعل الأثر الوحيد الباقى للشيخ سيد هو صورة زيتية مرسومة على جدار

صالة تياترو الريحانى، وتلك أريحية عظيمة نذكرها بكل فخر للريحانى، ثم نسأل بعد ذلك: ألم يحن الوقت بعد، الذى توضع فيه صورة سيد درويش وسلامة حجازى بصالة الأوبرا بجانب صور عظماء الموسيقى؟".

وبجانب هذه المقالة، أقيمت حفلة فى مسرح حديقة الأزبكية، لإحياء ذكرى الفقيد، تحدث فيها محمود أحمد الحفنى عن تاريخ الفقيد، وأرسل أحمد شوقى بقصيدة له، ألقاها أحد طلبة معهد الموسيقى الشرقى، وألقت فتحية أحمد قطعتين موسيقيتين من تأليف الفقيد، وألقى نجله محمد البحر كثيراً من مقطوعات الفقيد بمصاحبة فرقة الموسيقى الشرقى، وألقى محمد عبدالوهاب دور (أنا هويت وانتهيت)، وبكى أثناء الإلقاء فأبكى الحاضرين. أما فى الإسكندرية، فأقامت فرقة الموسيقى بجمعية الشبان المسلمين حفلة فى ذكرى الفقيد. وفى ذكراه عام 1932، طالبت جمعية هواة الفنون الجميلة بلدية الإسكندرية، بسرعة تحديد المكان اللائق فى إحدى الحدائق العامة لوضع تمثال الفقيد. كما طالبت مجلة الكواكب بإطلاق اسم الفقيد على أحد شوارع منطقة كوم الدكة، التي ولد وعاش فيها الفقيد. وأشارت المجلة إلى أن بعض أدباء الإسكندرية، يفكرون فى تأليف كتاب عن الفقيد، يجمع حياته ومآثره، ليكون مرجعا للأجيال القادمة.

وفى ذكراه عام 1933، قدم ناقد جريدة كوكب الشرق اقتراحات، منها: نقل رفات سيد درويش إلى قبر لائق به، بدلا من قبره المتهالك، وإطلاق اسمه على أحد

> **فى 1930 قامت جمعية هواة الفنون الجميلة بالإسكندرية، بصنع تمثال نصفى لسيد درويش، وطالبت الجمعية بجمع مقتنيات الفقيد وتحويل منزله إلى متحف**

شوارع العاصمة، وإقامة موسم غنائي كل عام لمدة أسبوع، تُمثل فيه المسرحيات الغنائية، التي لحنها الفقيد!!

وفى ذكراه عام 1934 – ومع افتتاح محطة الإذاعة فى مصر – تم ولأول مرة الاحتفال بالذكرى إذاعياً؛ وذلك بإذاعة بعض أعماله المسجلة فى أسطوانات. وهذا الأمر تكرر فى العام التالى 1935، وبالأسلوب نفسه. وفى ذكراه عام 1936، حدث شيء من التطور، حيث كتبت جريدة البلاغ تحت عنوان (سيد درويش وذكراه فى محطة الإذاعة)، قائلة: "ستقيم محطة الإذاعة اللاسلكية فى خلال الأسبوع القادم ذكرى فقيد الموسيقى والغناء المرحوم الشيخ سيد درويش. وقد اتفقت مع كل من المطربين: عبدالغنى السيد، ومحمد صادق، وسيد مصطفى وفرقته، ومحمد البحر نجل المرحوم سيد درويش. وقد اطلعنا على البرنامج الموضوع لهذه الحفلة بطريق الصدفة فوجدناه لا يشتمل إلا على المطربين والموسيقيين والملحنين، دون أن تشترك فى البرنامج مطربة واحدة. وهذا يخالف ما عودتنا عليه محطة الإذاعة اللاسلكية فى حفلة الذكرى من كل عام. على إننا نعتقد بأنه بين ألحان الفقيد ما يستدعى ضرورة اشتراك مطربة تؤدى

محمد البحر درويش

الشيخ سلامة حجازي

ألحـان العطـف والحنين".

وفـى ذكـراه عـام 1937، لـم تحتفل به الإذاعـة كعادتهـا، فكتـب أنـور عبدالملـك فـى جريـدة البـلاغ، مقالـة -اقتـرح فيها إنتاج فيلم سـينمائى عـن الفقيد- اختتمها قائـلاً: "والآن يجب علينـا أن نعمل لتخليد ذكـرى هـذا الفنـان الكبيـر، الـذى حـرر موسـيقانا من الأغـلال والقيود، التى كانت تـرزح تحتهـا، وأول مـن نطلـب إليهم ذلك الفنانـون، الذيـن جـاءوا بعده واسـتفادوا مـن فنـه. وكنـا ننتظـر أن تقـوم محطـة الإذاعـة اللاسـلكية بإحياء ذكـراه، ولكنها لـم تفعـل!! لذلـك نتوجـه إلـى الشـركات السـينمائية بـأن تعمـل علـى إخـراج فيلم سـينمائى، يمثل حياة هـذا الفنان، وتوضع فيـه بعض ألحانـه الشـهيرة. وبذلك نؤدى بعـض الواجـب علينـا نحو هذا الموسـيقى العظيم".

وفـى ذكـرى عـام 1938، تجـدد الكلام حـول تمثـال الفقيـد، فنشـرت جريـدة البـلاغ كلمـة، تحـت عنـوان "الذكـرى الخامسـة عشرة لفقيد الموسـيقى المرحوم سـيد درويـش"، جـاء فيهـا: "تقيـم لجنـة تخليـد عظماء مصر بجمعية هـواة الفنون الجميلـة بالإسـكندرية، حفلـة الذكـرى الخامسـة عشـرة لوفـاة فقيـد الموسـيقى سـيد درويـش، في مسـاء يـوم الثلاثـاء الموافق 15 سـبتمبر 1938. وترجو الجمعية محبـي الأسـتاذ الراحـل وأصدقائـه ومقدريـه مـن الأدباء والشـعراء والفنانين، أن يرسـلوا بكلماتهـم التي يـودون إلقاءها بهذه المناسـبة إلى مدير الجمعية الأسـتاذ حسـن كامل بمقـر الجمعية بشـارع الوراق رقـم 13 بميـدان المحطـة بالإسـكندرية. وذلـك قبل يوم 15 أغسـطس ليمكن طبعها ضمـن برنامـج الحفلة. هذا ويسـر اللجنة أن تعلـن إنهـا تقوم فـى هذا العـام بجميع الاسـتعدادات اللازمـة لإقامـة تمثـال الفقيـد. وآخـر مـا أعدتـه لهـذا الغرض طابعـاً تذكاريـاً سـيوزع ابتـداء مـن 15 سـبتمبر 1938 إلى سـتة أيام بعده كما إنها تقـوم بطبع كراسـة تحوى أغانـى الفقيد".

وفي ذكـرى عـام 1939، تلقـت روح الفقيـد سـيد درويش إهانة كبـرى، عندما تقـدم مجموعـة كبيـرة مـن أعـلام الفـن بالتمـاس إلـى الملك فـاروق، للسـماح لهم بوضـع لوحتـين تذكاريتـين داخـل الأوبرا الملكيـة للشـيخ سـلامة حجـازى، وللفنان عبدالرحمـن رشـدى، فوافـق الملـك علـى ذلـك. وعندمـا تسـاءل البعـض: لمـاذا لم يشـمل الالتماس اسم سـيد درويش لوضع لوحـة تذكاريـة لـه بجوار الشـيخ سـلامة حجـازى، فـكان الـرد: سـيد درويـش لـم يصـل إلى المسـتوى الفنى الـذى وصل إليه سـلامة حجازى!

وفي ذكـرى عـام 1940، سـخرت الصحـف مـن الإذاعـة؛ لأنهـا تقتصر فى إحيـاء ذكـرى الفقيـد علـى إذاعـة ألحانه بصـوت ابنـه محمـد البحـر، مـع تجاهل الأصـوات الأخـرى مـن تلاميـذ الفقيـد ومريديـه!! وفي ذكـرى عـام 1941، أقيمت

أول حفلة لائقة بالفقيد على مسرح حديقة الأزبكية، نقذتها لجنة تكونت من: نجيب الريحانى، وبديع خيرى، ومحمد عبدالوهاب، وزكريا أحمد، وعبدالوارث عسر، وبيرم التونسى، ومحمد على حماد. وفى هذا الحفل، تم تقديم الفصل الأول من أوبريت (العشرة الطيبة) بطولة فتحية أحمد، ولحن "والله تستاهل يا قلبى" من مسرحية (راحت عليك)، ولحن "اليوم يومك يا جنود" و"أنا المصرى" من مسرحية (شهرزاد)، ولحن "اليتامى" من مسرحية (الهلال).. إلخ.

وفى ذكرى عام 1943، ظهر في الأفق حسن درويش نجل سيد درويش بعد أن بلغ سن الرشد، وطالب الموسيقار محمد عبدالوهاب بأن يكون وصياً على ألحان والده!! وقبل محمد عبدالوهاب ذلك دون مقابل، بناء على مستندات رسمية محفوظة في ملف قضية ورثة سيد درويش بمحكمة مصر!! هذا ما نشره حسن درويش في مجلة الصباح، واختتم كلامه قائلاً: "إن أخى محمد البحر مغتصب لحقوق جميع الورثة". فرد عليه محمد البحر بحكم من المحكمة يثبت أنه الحارس الوحيد لتراث سيد درويش الفنى! وأمام كل هذا لم يتم الاحتفال بذكرى الفقيد؛ حيث اهتمت الصحف بمشاكل الورثة، أكثر من اهتمامها بذكرى سيد درويش!! وهذا الأمر ظل مستمراً حتى عام 1947، فلم أجد أية احتفالات لائقة بذكرى الفقيد، بل وجدت مقالات نظرية منشورة في ذكراه، تتحدث عن فنه وحياته، من باب ذر الرماد في العيون!! وفي ذكرى عام 1948، احتفل معهد الموسيقى الشرقى بالإسكندرية بحفلة نقلتها الإذاعة، تضمنت مقاطع

> **يبدو أن محمد البحر تعرض لضغوط ما، فوجدناه يكتب فى جريدة الجمهورية 1956 كلمة اختتمها بندائه بتأميم ألحان سيد درويش لضمان عدم ضياعها**

غنائية وموسيقية من تراث الفقيد. وفى القاهرة تكونت جمعية أصدقاء سيد درويش، وكان من أعضائها: محمد عبدالوهاب، وأم كلثوم، وبديع خيرى، وقررت الجمعية الاحتفال بذكرى الفقيد بصورة لائقة.. فلم يتم أى احتفال!! وفى ذكرى عام 1949، أقامت جمعية أصدقاء سيد درويش حفلة فى الإذاعة المصرية، ألقيت فيها الكلمات حول جهود الفقيد، مع إذاعة بعض ألحانه وأغانيه، وهذا الأمر تكرر عام 1950.

وفى ذكرى عام 1951، اقترح صلاح أبوسيف إقامة معهد موسيقى يُدرس فيه ألحان الفقيد مع وجود متحف يجمع أسطواناته ومقتنياته. وفى ذكرى عام 1952، اقترحت جمعية أصدقاء موسيقى سيد درويش الاستعانة بخبير أمريكى فى الموسيقى، يتولى توزيع ألحان الفقيد بصورة جديدة تتناسب مع تطور الموسيقى!! واعترض البعض على ذلك، وطالب بأن يقوم بالمهمة المايسترو محمد حسن الشجاعى؛ بوصفه متخصصاً فى موسيقى الفقيد!! وفى ذكرى عام 1953، بدأ الاهتمام بالفقيد بصورة جديدة؛ تتناسب مع ثورة 1952؛ حيث تم النظر إلى حياة سيد درويش؛ بوصفه فنان ثورة 1919؛ وربط ذلك بالفن المطلوب لتأييد

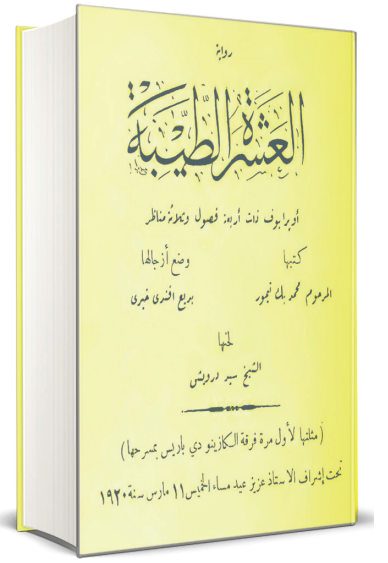

ثـورة 1952 في نفـوس الشـعب المصرى!

وهـذا التوجـه، بـدأ يظهـر بقـوة فـى ذكرى عام 1954، عندما نشـرت جريدة أبو الهـول، مقالة، جـاء فيها: "اليـوم الخامس عشـر من سـبتمبر 1954، يحتفل أصدقاء الفـن ومحبـو الفقيـد بذكـراه العطـرة. فتقـدم الإذاعـة بعـض إنتاجـه، ويلقـى الخطبـاء بعـض مـا تجـود بـه قرائحهـم فيذكـرون (الفنـان المجـدد)، و(العبقـرى الموهـوب)، و(الرجل الذى أحـدث ثورة فى عالـم الألحان)، ثم تهـدأ الضجة وينصرف كل واحـد إلى بيته، معتقـداً أنه أدى واجبه نحـو الفقيد الراحل. نحـن لا نريد هذا، لا نريـد خطباً رنانـة ولا عبـارات طنانة. لن نقـول مـع القائلـين: إن سـيد درويش كان فنانـاً مجدداً، لأن هذا القـول لن يرفع من قـدر سـيد درويـش، لن نقـول إنـه مجدد موهـوب؛ لأن هـذا أمـر حلـم بـه، وإنمـا الـذى نقولـه إن تقديرنـا لسـيد درويـش لـن يكون إلا بإحيـاء آثـاره!! الأمم الراقية تحتفـل بذكـرى عباقرتها بإحيـاء آثارهم!!

النمسـا تحتفـل كل عـام بذكـرى (مـوزار) فتحـى البـلاد ذكـراه، لا بالخطـب، وإنما بالأعمال".

وهـذا الكلام، يعنـى أن الدولة يجب أن تعـرض أعمـال الفقيد، بدلا مـن الحديث عنـه!! ولكن المشـكلة أن هـذه الأعمال لها وريـث وحـارس، يتقاضـى عنهـا أمـوالاً، وهـذا حقـه القانونـى! لذلك تبنـت مجلة (أهـل الفن) فكرة شـيطانية، قالـت فيها: "إن حكومـة الثورة التى أصـدرت قراراتها الجريئـة بمصـادرة أمـوال أسـرة محمـد علـى لصالـح الشـعب، أن تصـادر الثـروة الفنيـة لسـيد درويـش، حتى يتـم الإفراج عنهـا، ويتمتع الشـعب بسـماعها، ويرددها كمـا رددهـا فى حياة سـيد درويـش!! فما أحـوج الشـعب الذى ردد هـذه الألحان فى ثـورة سـنة 1919 أن يرددها فى ثورة سـنة 1952".

ومـن الواضـح أن المطالبـة بمصـادرة تراث الفقيد الموسـيقى، تكـررت فى ذكرى عـام 1955!! ومـن المؤكـد أن محمد البحر -الوريـث وحـارس تـراث أبيـه- تعـرض لضغـوط مـا، فوجدنـاه فـى ذكـرى عـام 1956، يكتـب كلمة في جريـدة الجمهورية، اختتمهـا قائـلاً: "إن ألحـان سـيد درويش لا يمكـن أن تكـون ملـكاً لى، بـل هى ملك الشـعب.. ملك مصر.. ولهـذا فإننى أنادى بـأن الطريقـة الوحيـدة هى أن تـؤمم هذه الألحـان، ففى هذا ضمان لعـدم ضياعها. إن الأيـام تمـر، واليـوم قـد نجـد مـن يحفظـون ألحـان سـيد درويش، أمـا غداً فقـد يتعـذر علينـا هـذا؟". هـذه إطلالـة سـريعة علـى ما تم مـن احتفـالات بذكرى هـذا الموسـيقي الرائـع.. فيا تـرى.. كيف سـيكون الاحتفـال بمئويتـه هـذا العام؟!